سورة سبأ

٧٩ -قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ﴿١٥﴾﴾

القراءة: اختلف القراء في قراءة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾. فقرأ الجمهور، نافع، وعاصم، وأبو جعفر، وشيبة الأعرج "لِسَبَإٍ" بالجر والتنوين على أنه اسم حيّ: أي: الحيّ الذين هم أولاد سبأ. وقرأ ابن كثير، والبزي، والحسن، وأبو عمرو "لِسَبَأْ" بإسكان الهمزة، وقرئ بقلبها ألفاً. وإذا وقف عليه حمزة، وهشام بخلف أبدلا الهمزة ألفاً على القياس، ولهما أيضاً بين بين على وجه الروم فهما وجهان. واختلفوا أيضاً في قوله تعالى: "مَسْكَنِهِمْ". فقرأ الجمهور، ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم "في مَسَاكِنِهِمْ" على الجمع، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم "مَسْكَنِهِمْ" بالإفراد، أي من غير ألف مع فتح الكاف وسكون السين. وقرأ الكسائي، وخلف "مِسْكِنِهم" بكسر الكاف وهى لغة فصحاء اليمن، وبهذه القراءة قرأ يحي بن وثاب، والأعمش، وبها قرأ الفراء[1]. وروى الحاكم

---

(١) انظر: الكشف جـ ٢ / ٢٠٤ / ٢٠٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٦ / ١٢ / ١٣ / ١٤ ، والتبصرة ص: ٣٠١ ، والتيسير ص: ١٣٦ / ١٤٦ ، والكنز في القراءات العشر ص: ٢١٠ ، ٢٢١ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٣٢٦ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٧ / ٢٥٨ ، وزاد المسير جـ ٦ /٤٤٢-

في مستدركه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " لقد كان لسبإ في مساكنهم " بقراءة " لسبإٍ " بالجر والتنوين على معنى الحي، و " مساكنهم " على الجمع. فقال الحاكم: حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن سنان القزاز، ثنا عبد الله بن محمد بن الحارث مولي بني هاشم، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر، أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، قرأ: " لقد كان لسبإ في مساكنهم". وقال الحاكم: هذه نسخة لم نكتبها غالبة إلا عن أبي العباس، والشيخان لم يحتجا بابن البيلماني [٢] وقال الذهبي: لم يصح قلت: إسناده ضعيف، لأن فيه عبد الرحمن بن البيلمانى ضعيف. قال ابن حجر: ضعيف، وقال أبو حاتم: لين، ووثقه ابن حبان، وقال الحافظ عبد العظيم: لا يحتج به، وكذلك ابنه محمد، قال البخاري: منكر الحديث [٣].

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ " لسبأ " بالجر والتنوين، على أنه اسم حيّ، أي الحيّ الذين هم أولاد سبأ. وحجة من قرأ " لِسَبأ " بالفتح وترك الصرف، بتأويل القبيلة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، ويقوّى القراءة الأولى قوله: " في مساكنهم " ولو كان على تأويل القبيلة لقال في " مساكنها ". فما ورد على القراءة الأولى قول

-/٤٤٣ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ / ٣١٩ / ٣٢٠ ، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٤١٣ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٣٨٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٢٤٧ / ٢٤٨ ، ومعاني القراء للفراء جـ ٢ / ٣٥٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ /٢٤٨، والدوري في جزئه ص : ١٤٠ رقم ٩٤ قال : حدثنا علي بن مكين بن بندار البصري بإسناده ولفظه .

(٣) انظر : تقريب التهذيب جـ ١ / ٤٧٤ ، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص : ٢٢٥ / ٣٤٧ .

الشاعر :

٤٩- الوارِدُون وتيمٌ في ذريّ سَبأ

قد عضّ أعناقَهُم جلد الجواميسِ[٤]

ومما ورد على القراءة الثانية قول الشاعر :

٥٠- مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مأرِبَ إذْ

يَبْنُونَ من دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[٥]

وقال ابن الجوزي : قال المفسرون : المراد بسبأ ها هنا : القبيلة التى هم من أولاد سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، وأن قوماً يقولون : هو اسم بلد، وليس باسم رجل. وذكر الزجاج في هذا المكان أنَّ مَنْ قرأ " لِسَبأ " بالفتح وترك الصرف، جعله اسماً للقبيلة، ومن صرف وكسر ونوَّن، جعله اسماً للحيّ، واسماً لرجل، وكلٌّ جائز حسن[٦]. وحجة من قرأ: " في مساكنهم " على الجمع، فظاهر، لأن كل أحد له مسكن وجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى، واختار هذه القراءة أبو عبيد، وأبو حاتم. قلت: قرأ بها النبي، صلى الله عليه وسلم، ووجه اختيار أنها كانت لهم منازل كثيرة، ومساكن متعددة .

---

(٤) الشاعر هو جرير، وهو في ديوان ص : جـ١/٣٢٥ .

بلفظ : تَدْعُوكَ تَيْمُ وتَيْمُ في قُرى سَبَأٍ قَدْ عَضَّ أعناقَهُم جِلْدُ الجواميسِ

من قصيدته التي يهجو فيها التيم ، انظر : البحر المحيط جـ٧/٢٦٩ والدر المصون جـ٥/٤٣٨ رقم ٣٧٤٣ ، جـ٥/٣٠٥ رقم ٩٥٧٠.

(٥) الشاعر هو : النابغة الجعدي وهو في ديوانه ص : ١٣٤ وأنشده ابن منظور في لسان العرب جـ١٠/١٢٤ مادة عرم وعزاه إلي الجعدي من غير تعيين ، وذكره ابن الأنباري من الإنصاف جـ١/٤١٠ رقم ٣٢١ وفي الدر المصون جـ٥/٤٤٠ رقم ٣٧٤٦ والكتاب جـ٣/٢٥٣ بلا نسبة وفي جمهرة اللغة جـ٣ / ٢٠٥ ومجاز القرآن جـ٢/ ١٤٧ رقم ٧٣٦ وفي إعراب القرآن للنحاس جـ٢/٣١١ رقم ٣١٨.

(٦) انظر : زاد المسير لابن الجوزي جـ ٦ / ٤٤٣ .

وحجة من قرأ: " مسكِنهم " بكسر الكاف أو فتحها، فوجه الإفراد أنه مصدر يشمل القليل والكثير، أو اسم مكان وأريد به معنى الجمع. وقال أبو الحسن: كسر الكاف لغة فاشية وهي لغة الناس اليوم، والفتح لغة الحجاز، وهي اليوم قليلة، وقال الفراء: وهي لغة يمانية فصيحة. وقال مكي: وحجة من وَحَّد أنه بمعنى السكنى، فهو مصدر يدلّ على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع مع خفّة الواحد. وحجة من جمع أنه لما كان لكل واحد منهم مسكن وجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى.

وحجة من فتح الكاف في الواحد أنه أتى به على المستعمل المعروف، لأنه المصدر من " فعَل يفعُل " يأتي أبداً بالفتح نحو المقعَد، والمدخَل، والمخرَج، فهو أصل الباب.

وحجة من كسر أنه جعله مِمّا خرج على الأصل سماعاً، جاء بالكسر في المصدر، والفعل على " فعَل يفعُل ". وقد جاء ذلك في أحرف محفوظة منها " المسجد والمطلع " وقد جعل سيبويه " المسجد " اسماً للبيت، ولم يجعله مصدراً حين رآه خرج عن الأصل، والأخفش يقول: " المسكِن " بالكسر لغة مستعملة، وهي في المسجد كثيرة، قال: والفتح في المسجد لغة أهل الحجاز، وهي قليلة الاستعمال عنده، والاختيار الجمع، لأنه عليه الأكثر وعليه العمل. وقال أبو البقاء العكبري: يقرأ "مَسْكَنِهم " على الافراد، بكسر الكاف وفتحها، لغتان. قلت: القراءة الموجودة في المصحف الإمام هي التى قرأ بها حمزة وحفص " في مَسْكَنِهِم " بفتح الكاف على المصدر، وهو اسم جنس يراد به الجمع، وهي قراءة إبراهيم النخعي، وهذا الإفراد هو كما قال الشاعر :

٥١- ... كُلوا في بِعضِ بَطْنِكُمُ تعفو[٧]

---

(٧) البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل ، والشاهد هنا في قوله : " بطنكم " حيث-

وكما قال الآخر :

٥٢-...قد عض أعناقهم جِلْدُ الجَوَامِيْسِ[٨]

وعلى هذا قوله سبحانه: " في مقعد صدق "[سورة القمر ٥٥] أي: مواضع قعود، ألا ترى أن لكلٍّ واحد من المتقين موضع قعود، فهذا التأويل أشْبَهُ من أن تحمله على الوجه الآخر الذي لا يكاد يجئ إلا في شعر. وقال أبو علي الفارسي: فأما قول الكسائي: " في مَسْكِنِهِمْ " فالأشبه فيه الفتح، لأن اسم المكان من فَعَلَ يَفْعُلُ على المَفْعَل، فإن لم تُرد المكان، ولكن المصدر، فالمصدر أيضاً في هذا الحد على المَفْعَل مثل: المَحْشَرِ ونحوه، وقد يشذُّ عن القياس المطَّرد نحو هذا، كما جاء المَسْجَد، وسيبويه يحمله على أنه اسم البيت، وليس المكان من فَعَلَ يَفْعُل، فإن أراد ذاك فتح، وكذلك المَطْلِع من طَلَعَ يَطْلُعُ، والمَطْلَعُ على القياس، إلا أنَّ أبا الحسن يقول: إنَّ المَسْكِنَ إذا كسرته لغة كثيرة، قال: وهي لغة الناس اليوم، قال: وأمَّا المَسْكَنُ مفتوحة فهي لغة الحجاز، قال: وهي اليوم قليلة[٩].

= جاءت بمعني الجمع " بطون " فهي مفردة لفظاً ، جمع معنيً ، انظر : الكتاب جـ١/٢١٠ ، ومعاني الأخفش جـ١/٤٣٧ ومعاني الفراء جـ١/٣٠٧ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ٣/٢٩٢ ، والموضح جـ٣/١٠٤٨ ، والدر المصون جـ٥/٤٣٨ رقم ٣٧٤٤ وتمامه هو:

كلوا في بعض بطْنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص

والسيوطي في : همع الهوامع جـ١/١٧٢ رقم ٩٩ ، والمفصل لابن يعيش جـ٥/ ٨ ، والمحتسب جـ٢/٨٧

(٨) سبق في ص: ٢٦٥ رقم٤٩

(٩) انظر : الكشف جـ ٢ / ٢٠٤ / ٢٠٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٦ / ١٢ / ١٣ / ١٤ ، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ٣٥٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٢٤٧ / ٢٤٨ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٧ / ٢٥٨ / ٢٥٩ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٣٢٦ ، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٤١٣ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ / ٣١٩ / ٣٢٠ .

٨٠- قوله تعالى: ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴿٢٣﴾﴾

القراءة: قرأ جمهور القراء " فُزِّعَ " بضم الفاء وتشديد الزاي مع الكسر من الفزع مبنياً للمفعول، أي: أطير الفزع عن قلوبهم، وفعَّل تأتي لمعان منها الإزالة، وهذا منه، نحو: قرَّدت البعير. أي: أزلت القراد عنه.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وطلحة، وأبو المتوكل الناجي، وابن السميفع، ويعقوب، وابن عامر " فَزَّعَ " بفتح الفاء، وشد الزاي، مبنياً للفاعل، من الفزع أيضاً. وقرأ الحسن " فُزِعَ " من الفزع بتخفيف الزاي مبنياً للمفعول. وقرأ الحسن أيضاً، وأبو المتوكل أيضاً، وقتادة، ومجاهد " فَزَّع " مشدداً مبنياً للفاعل من الفزع. وقرأ الحسن أيضاً كذلك إلا أنه خفف الزاي. وقرأ عبد الله بن عمر، والحسن أيضاً، وأيوب السختياني، وقتادة أيضاً، وأبو ملج " فَزِّعَ " من الفراغ مشدداً مبنياً للمفعول، وقرأ ابن مسعود، وعيسى " أفرَنْقَع عن قلوبهم " بمعنى انكشف عنها. وقال أبو حاتم: وما أظن الثقات روها عن الحسن على وجوه إلا لصعوبة المعنى عليه، فاختلفت ألفاظ فيه [١٠].

وروى الحاكم بإسناد صحيح، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " فُزِّعَ " بضم الفاء، وتشديد الزاي مكسورة، مبنياً للمفعول، وهي قراءة الجمهور من القراء. فقال الحاكم في مستدركه: حدَّثني علي بن حمشاذ العدل، ثنا بشر بن موسى الأسدي، ثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، أن نبي الله، صلى الله

---

(١٠) انظر: الكشف جـ ٢ / ٢٠٥ / ٢٠٦، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٦ / ٢١ / ٢٢، والتبصرة ص: ٣٠٢، والتيسير ص: ١٤٧، والكنز في القراءات العشر ص: ٢٢١، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٣٣١، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٤١٨ / ٤١٩، وتفسير البحر المحيط جـ ٧ / ٢٢٦، وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ / ٣٢٥، وزاد المسير جـ ٦ / ٤٥٢، والنشر في القراءات العشر جـ ٣ / ٢٥٧، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ٣٦١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٢٥٣.

عليه وآله وسلم، قرأ: " فُزِّعَ عن قلوبهم ماذا قال ربكم ". وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [١١] وقال الذهبي: علي شرط البخاري.

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ بالفتح أنه بنى الفعل للفاعل، ففي " فَزَّعَ " ضمير الفاعل، عائد على اسم الله، والمعنى: حتى إذا جَلّى الله الفزع عن قلوب الملائكة، أي أزاله، قالوا: ماذا قال ربُّكم ؟، وذلك فيما رُوي أن الملائكة تفزع إذا علِمتْ أن الله أوحى بأمر، فتفزع منه أن يكون في أمر الساعة، فإذا جلّى الله الفزع عن قلوبهم، بأن ذلك الوحي ليس في أمر الساعة سألوه عن الوحي ما هو ؟ فقالوا: ماذا قال ربكم، فيجاوبهم جبريل، فيقول: قال الحق، وأخبر عنه بلفظ الجمع لجلالته وعظم قدره .

وحجة من قرأ بضم الفاء أنه بنى الفعل للمفعول، فأقام المجرور مقام الفاعل، وهو " عن قلوبهم ". والضم: الاختيار، لأن الجماعة عليه. وقال أبو علي الفارسي: وفَزَّع واحد في المعنى وإن اختلفت الألفاظ. وكلا القراءتين بتشديد الزاي، وفعّل معناه السلب، بالتقريع إزالة الفزع. قال قطرب: معنى: " فزّع عن قلوبهم " أخرج ما فيها من الفزع، وهو الخوف، وقال مجاهد: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة. والمعنى:

---

(١١) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤٨ ، والبخاري في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالي " لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن " جـ١٣/ ٤٦١ رقم ٧٤٨١ .

وأبو داود في : ٣٤ – كتاب السنة ، ٢٢ – باب فى القرآن جـ٤ / ٢٠٢٤ رقم ٤٧٣٨ من حديث الأعمش عن مسلم ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجرِّ السلسلة على الصَّفا ، فيُصعَقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، عليه السلام ، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّعَ عن قلوبهم ، قال : فيقولون : يا جبريلُ ماذا قال ربُّك ؟ فيقول : الحقَّ ، فيقولون : الحقَّ ، الحقَّ " .

أن الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء، والأصنام، إلا أن الله سبحانه يأذن للملائكة والأنبياء ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها، وهم في غاية الفزع من الله كما قال تعالى: " وهم من خشيته مشفقون " فإذا أذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة من الأمر الهائل والخوف الشديد من أن يحدث شيء من أقدار الله، فإذا سرّى عليهم " قالوا ". ومعنى من قرأ " افرّنْقَع عن قلوبهم " بمعنى أنكشف عنها، وقيل: تفرق. ومن قرأ " فُرِّغ " من الفراغ مشدداً الراء مبنياً للمفعول، وهو بمعنى الفزع، لأنها فرغت من الفزع، وقال غيره: بل فرغت من الشك والشّرك [١٢].

(١٢) انظر : الكشف جـ ٢ / ٢٠٦ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ٦/٢١/ ٢ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ٢/٣٣١، وتفسير البحر المحيط جـ٧/٢٦٦، وزاد المسير جـ٦ / ٤٥٢ / ٤٥٣ ، والمحرر الوجيز جـ ٤ / ٤١٨ / ٤١٩ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٣ / ٢٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٣٨٧ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ / ٣٢٥ ، ومعاني القرآن للفراء جـ ٢ / ٣٦١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ٤ / ٢٥٣ .